ثم هناك تهديد هيرتزل باللجوء الى « القيصر الالماني الذي غرست فيه تربيته المقدرة على التفكير بالاشياء الكبيرة » أي مرة أخرى يخز هيرتزل مضيفه في مكان حساس ، وذلك من خلال التركيز على المقدرة على التفكير بالاشياء الكبيرة، وكأن ذلك خارج طاقة البارون . وفي مذكراته ، سجل هيرتزل ملاحظته بأن عيني البارون برقتا عند سماعه اسم القيصر ، وفسر ذلك بأنه ناجم عن اعجاب هيرش بجرأته في حمل القضية اليهودية الى أكبر شخصية أوربية . ولكن سوكولوف في كتابه عن « تاريخ الصهيونية » طرح تفسيرا مخالفا لبريق ، أو رمشة عين هيرش ، اذ بيّن ان ردة فعل البارون كانت في الواقع ساخرة . فهو بحكم علاقته الوثيقة بأمير ويلز ، (ولي عهد بريطانيا الذي اعتلى العرش بعد المقابلة بستة أعوام باسم ادوارد السابع) كان يعلـــم ان الدولة التي ستساعد الحركة الصهيونية حقا ، ستكون بريطانيا وليس المانيا . كما كان يعرف مدى النفور بين ادوارد ، وخاله الامبراطور الالماني ، والاثر الذي سيتركه ذلك على العلاقات بين البلدين . ولذا لم يشاطر هيرتزل آماله بالحصول علـــى مساعدة فيلهلم . ويلمح سوكولوف الى أن تردد هيرش في مساعدة هيرتزل كان مبعثه سلوك الاخير ، عندما لم يثن على انجازات البارون ذلك الثناء الذي كان المحسن الكبير يتمنى سماعه . وهنا علينا ان نطرح السؤال التالي : هل كان هيرش سيساعد هيرتزل فيما لو امتدت به الحياة ؟

الجواب على ذلك نجده واضحا في رسائل للامبراطور فيلهلم ووزارة خارجيته ، عثر عليها قبل سنوات . وكانت هذه الرسائل معنونة الى أرشيدوق بادن ، وهو قريب الامبراطور الذي قام بدور الوساطة بين هيرتزل والعاهل الالماني . من هذه الرسائل نفهم بأن هيرش يؤيد الاستيطان اليهودي في فلسطين ، وبأن الامبراطور نفسه يميل الى تأييد الصهيونية ، الا انه لا يميل الى هيرش ، اذ وصفه بأنه رجل سيىء الصيت. وهذه الرسالة مؤرخة في ٢٦ كانون الثاني ، عام ١٩٠٤ ، أي بعد وفـــاة هيرش بثماني سنوات ، وقبل وفاة هيرتزل بأشهر قليلة .

اذن فبالرغم من التناقض بين شخصيتي هيرش وهيرتزل ، فان هيرش كان في نهاية المطاف سينضم الى هيرتزل ، فيما لو امتدت به الحياة . لقد كانت له تحفظاته : وقوع فلسطين تحت السلطة العثمانية ـــ قربها من روسيا ـــ اضمحلال دوره هو أمام بروز هيرتزل المتزايد . ولكن هذه التحفظات كانت ستزول من نفسه تدريجيا ، كما زالت من نفوس الكثيرين من اليهود الذين لم يتحمسوا لدعوة هيرتزل في البداية ، ثم انتهوا الى أن يصبحوا من أخلص أتباعه . فالبارون لم ينس يهوديته ولا لحظة واحدة . وهذه الحقيقة يشدد غرونفالد عليها ، ولا ينسى تذكير القارىء بأنه مهما كان التضارب كبيرا في الرأي حول مدى انتماء هيرش للحركة الصهيونية ، فان الارجنتين اصبحت موردا بشريا لاسرائيل ، حتى درج القول بين الصهيونيين بأن : The Way Leads From A(rgentine) to Z(ion).

اي ان الارجنتين كانت مجرد محطة استراحة بين أوربا الشرقية وفلسطين، لا أكثر .